# قضايا ومناقشات

- ظاهرة هارى بوتر
- من مشكلات القراءة الحرة فى مصر

# ظاهرة هارى بوتر

## مقتطفات بأقلام نخبة من الأدباء والمفكرين فى مصر

عرض
فؤاد أحمد إسماعيل
مدير الخدمات الفنية بمكتبة مبارك العامة

هارى بوتر سلسلة من الروايات الخيالية للأطفال تكتبها المؤلفة الإنجليزية جوان كاثلين رولينج ، صدر الكتاب الأول من السلسلة عام ١٩٩٧ . بطل الروايات طفل يتيم هو هارى الذى تولت خالته وزوجها تربيته فى جو بالغ القسوة ، الأمر الذى أدى إلى شعور مدرسة للسحر والسحرة بالشفقة عليه، وقامت بضمه إلى مدرستها وتعليمه فنون السحر وإقحامه فى المغارات ، ثم توالى صدور الأعداد التالية من السلسلة حتى الخامسة أعوام ٩٨و٩٩و٢٠٠٠، وأخيرًا ٢٠٠٣ .

حملت الإصدارات الخمسة من هذه السلسلة العناوين : هارى بوتر وحجر الفيلسوف ، وهارى بوتر وحجرة الأسرار ، وهارى بوتر وسجين أزاكابان ، وهارى بوتر وكأس النار ، وهارى بوتر وطائر العنقاء وحققت أعلى الإيرادات فى تاريخ الروايات ، كما تحول الإصداران الأولان منها إلى أفلام سينمائية اكتسحت بدورها باقى الأفلام التى عرضت فى وقتها ، وتحولت مسلسلات هارى بوتر إلى ظاهرة اجتماعية لافتة للنظر !! خاصة أن معظم قرائه ومشاهديه من الأطفال الذين يجدون أنفسهم فى هذه الشخصية الساحرة ، وقد حول هارى بوتر المؤلفة رولنج إلى أشهر كاتبة فى العالم وأصبحت من أغنياء العالم !!! .

ومن الملاحظ أن ظاهرة هارى بوتر لم تدخل فقط فى قلب اهتمام الأسر الأوروبية والأمريكية بل تأثر بها العالم كله شرقًا وغربًا مما يؤكد أن العالم أصبح قرية كونية صغيرة وقد تناول موضوع «هارى بوتر» أكثر من ٧٦٠، ٤موقعاً على شبكة الإنترنت .

وفى مصر قامت السيدة رجاء عبد الله بترجمة الروايتين الأولى والثانية من السلسلة إلى اللغة العربية، وترجم الرواية الثالثة الأستاذ محمد حسن ، ونُشرت من خلال مؤسسة «نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع» بإشراف السيدة داليا محمد إبراهيم وتجرى ترجمة باقى السلسلة ونشرها ، هذا وقد كتب عدد كبير من الأدباء والمفكرين ورجال الإعلام عن ظاهرة هارى بوتر ومؤلفته السيدة ج.ك. رولنج ، حيث نشر فى صحيفة الأهرام فقط ٣٤ مادة من المقالات والأعمدة والتحقيقات والأخبار ، يرجع أقدمها إلى ٢٩ يوليو ٢٠٠٠ بعنوان «حكاية

سياسية» بقلم الأستاذ محمد عيسى الشرقاوى ، وأحدثها فى ١١ أغسطس ٢٠٠٣ بعنوان «نحن لا نعرف من هو طفل فينا ! » بقلم الدكتور يحيى الرخاوى وفى هذا العرض نشير إلى مقتطفات مما كتبه فى صحيفة الأهرام بعض هؤلاء الأدباء والمفكرين عن هذه الظاهرة التى دعمت من الإبقاء على الكتاب منافساً قوياً للوسائل المسموعة والمرئية والوسائل الإلكترونية .

## نجيب محفوظ :

«توقفت كثيراً عند ظاهرة رواية هارى بوتر التى صدرت أخيراً للأطفال ، والتى بيع منها الملايين خلال الساعات الأولى من صدورها، ففى وقت نحن نشكو فيه من كساد الكتاب أمام وسائل الاتصال الحديثة من التليفزيون إلى الإنترنت .. ها هو كتاب يصدر فيباع ليس بالآلاف من النسخ فحسب ، بل الملايين . لقد وضعت مؤلفة الكتاب يدها بلا شك على ما يثير خيال الأطفال فى عصرنا الحالى منذ أن أصدرت كتابها الأول فى هذه السلسلة قبل بضعة أعوام ، حتى صار هارى بوتر ، بطل روايتها ، إحدى الشخصيات المهمة فى حياة الأطفال الآن ، مثلما كانت سندريلا أو السندباد بالنسبة للجيل السابق ، والحقيقة أن المقارنة بين البطل الجديد وأبطال قصص الأطفال القديمة يوضح الفرق بين عصر وعصر ، فهارى بوتر هذا يتمتع على ما يبدو بقدرات ذهنية خارقة ويمتلك ناصية التحكم فى وسائل الاتصال الحديثة فى العالم ، لذلك فهو أكثر تعبيراً عن جيل الأطفال فى عصرنا هذا ، فالأطفال لم يعد يثير اهتمامهم تلك الحواديت البسيطة التى كانت تتحدث عن الجميلة النائمة فى الغابة بعد أن سحرتها الساحرة الشريرة التى يأتى الأمير الجميل لإنقاذها . إن ما يثيرهم اليوم هو كيف يتحكم طفل صغير فى الكمبيوتر وكيف يستطيع أن يسيطر على المجتمع المحيط به مستخدماً ذكاءه وقدراته الفذة . وربما يكون الدرس الذى علينا أن نستوعبه من هذه الظاهرة التى يتحدث عنها العالم أجمع الآن هو أن الكتابة للأطفال لم تعد كما كانت فى الماضى ، وعلى كتاب الأطفال عندنا أن يعوا ذلك فى الوقت الحالى الذى يتزايد فيه الاهتمام بالمكتبات وبالقراءة للأطفال» .

كما قال الأستاذ نجيب محفوظ بأن «من أهم ما يثيره النجاح الجماهيرى الواسع الذى حققته الرواية موقف النقاد من الكتب واسعة الانتشار التى يطلق عليها فى الخارج Best Seller أى الأكثر مبيعاً ، فمثل هذه الأعمال عادة ما يتجاهلها النقاد أو يترفعون عنها ويعتبرون انتشارها الجماهيرى دليلاً على تجاريتها وبعدها عن الخصائص الفنية ، وتلك فكرة غير صحيحة؛ لأنها تقوم على افتراض أن الفن هو للخاصة وحدهم ، أما ما تقبل عليه الجماهير الواسعة فهو بالضرورة بعيد كل البعد عن الفن ولا ينبغى للنقاد أن ينشغلوا به» وأضاف: «إن الأعمال الفنية واسعة الانتشار لها تأثير على الجماهير يفوق ما يكتب للصفوة وبالتالى فإن إعراض النقاد عنها يعنى أن هناك أعمالاً شديدة التأثير فى الناس لكن النقد بعيد عنها تماماً وهذا لا ينبغى أن يكون .

## أنيس منصور :

«كان لابد أن اعرف سر وسحر المؤلفة البريطانية ج. رولنج التى بهرت أطفال وأباء وأمهات الدنيا بقصصها ، وبالفيلم الذى قام ببطولته الطفل هارى بوتر .. لابد ان لديها قدرة فريدة على مخاطبة الطفل . لأن الكتابة للطفل فن آخر ، فليس فى استطاعة أى كاتب مهما كان كبيرا أن يكتب للطفل ، فهناك أساليب ، خاصة ومفردات ومداخل ومخارج وحكايات وروايات قادرة على جذب انتباه الطفل حتى تشغله عن الطعام والشراب والنوم والكلام ، وهذا معروف فى العائلات التى بها أطفال تحب القراءة وتشترى الكتب متى خرجت من البيت . وكان يهمنى أن اعرف سر صناعة هذه السيدة التى كسبت من قصصها فى عام واحد ستين مليون دولار ؟! واستعجلت الصديق «هانى طلبه» مسئول الكتب فى الأهرام أن يأتى بكل روايات الكاتبة البريطانية ، ووجدتها أمامى ، أقبلت عليها متفرغا تماما لكى اعرف أين تكمن قدرتها وعظمتها ، وبمنتهى الأمانة لم استطع أن أحتمل عشرين صفحة ، لا الأسلوب ولا الفكرة ولا الأسماء ... وفوجئت بأن الطفل أحمد جعفر ( ١٤ سنة ) بالمدرسة الألمانية قد قرأ كل رواياتها فى أسبوع واحد مع أن بعض رواياتها تقع فى ٦٠٠ صفحة .. إذن لابد أن هذا الطفل قد وجد متعة مؤكدة ولابد أنها عرفت كيف تنفذ إليه ... رواية بعد رواية .. ثم إن هذه الروايات ليست من الكتب المقررة ، وقد قال أحد الأباء أن أطفاله الثلاثة قد تبادلوا هذه الروايات فى أسبوعين وقرءوها ، وأسعدهم ذلك !

وفى الوقت نفسه عندنا مجموعة من المفهومات الغلط ، وهى أننا نخاف على عقل الطفل من كثرة المعلومات نحن فقط فى هذه الدنيا الذين نتوهم ذلك ، ونحن وحدنا الذين نعتقد أن عقل الطفل ضيق وقابل للكسر ، ولذلك يجب أن نحجب عنه المعلومات، ونختصر له الكتب، ونجعل له الامتحانات سهلة ، فإذا جاءت صعبة اعتذرنا له عن هذه الغلطة الفظيعة ، لأن المفروض عندنا فى مصر أن ينجح الطفل ويحصل على مائة فى المائة على الأقل .

وإذا نحن قلبنا صحف الدنيا كلها ومجلاتها فإننا لن نجد أحدا يشكو من الامتحانات والأسئلة خارج وداخل المقرر إلا فى مصر ... مع أن الأطفال الصغار يقضون الساعات على الكمبيوتر يقرءون ويراسلون ، ومع ذلك فعندنا يقين ( رسمى ) بضرورة أن نعطيهم القليل من كل شىء حتى لا يتفوقوا فى أى شئ ... ثم نشكو من التخلف العقلى عندهم والعلمى عندنا ؟!

## د. عبد القادر القط :

«لم تكن الكاتبة الاسكتلندية «جون كاتلين رولنج» تحلم حين ألفت كتابها عن الصبى هارى بوتر أن يصبح هو والأجزاء الثلاثة التى تلته على قمة أكثر الكتب انتشارا، وأن يباع منها حتى اليوم ثلاثون مليون

نسخة، وأن تنال مقابل إخراج الكتاب الأول فى فيلم سينمائى خمسة وسبعين مليون دولار . لم تكن تحلم بكل هذا النجاح ولا كانت تقدر أن تصبح كتبها الأربعة موضع جدل دينى وتربوى طويل حول صلاح تلك الكتب للأطفال وهى تدور حول السحر وممارسته .. فمن مدافع يرى أنها داخل الإطار السحرى الجذاب تنطوى على قيم خلقيه طيبة كالصداقة، والثقة بالنفس، والشجاعة، وحب الأسرة ، ومن رافض يرى أن الكتب عودة إلى عهود السحر الأسود تعلم الأطفال الشر والقسوة .

والكتب الأربعة تحكى قصه الصبى هارى بوتر الذى كان الساحر الشرير قد قتل والديه الساحرين الطيبين، فعاش مع أحد أقربائه وزوجته وابنهما المدلل العدوانى، حتى إذا ضاق بقسوتهم أسقط إليه طائر غريب رسالة تدعوه إلى أن يلتحق بمدرسة هجوارت ليتعلم السحر . ويروى كل كتاب من الكتب الأربعة مغامرات الصبى فى كل عام دراسى .

وتعتزم الكاتبة أن تصدر ثلاثة كتب أخرى تتابع فيها حياة الصبى إلى أن يكمل دراسته .

وفى السنة الأولى تجمع الصداقة بينه وبين تلميذ وتلميذة يشاركانه الميل إلى حب الاستطلاع والمغامرة .

ويفطن الأصدقاء الثلاثة إلى أن الساحر الشرير يسعى إلى امتلاك حجر الفلاسفة المحفوظ فى مكان حصين بالمدرسة تحرسه مخلوقات عجيبة وتعاويذ سحرية معقدة، فيجمعون أمرهم على ان يسبقوا الساحر إليه ويحولوا بينه وبين امتلاكه . فالحجر يطيل عمر حامله ويحول المعادن الرخيصة إلى ذهب !!

وبعد مغامرات مألوفة فى القصص التى تصور السعى وراء الذخائر والكنوز المرصودة يرى هارى الحجر وقد تجسم فى مرآة سحريه، ويرى والديه يبتسمان له فى حب . وفجاة ينتقل الحجر من المرآة إلى جيب هارى فيفرح به . لكن معلمه الطيب ينصح بتحطيم الحجر فحياة الإنسان لا تقاس بطول عمره ، بل بما ينجز فيها من طيب الأعمال . وليس الذهب وحده طريق السعادة ، بل قد يكون فى كثير من الأحيان طريقا ممهدا إلى الشر . لكن الحب هو الطريق الصحيح إلى السعادة ، وما انتقل الحجر من المرآة إلى جيب هارى إلا بقوة الحب بينه وبين والديه الراحلين .

وتنقضى السنة الأولى من الدراسة ويعود هارى إلى البيت فى انتظار السنة الثانية ، لكى يستأنف تعليمه ومغامراته مع صديقه وصديقته .

وفى الفيلم الذى يصور مغامرات السنة الأولى مشاهد باهرة فى الإخراج والديكور والإضاءة والحركة وحيل التصوير . لكنها كلها أصبحت شيئا مألوفا فى البحث عن الكنوز المرصودة، وأفلام الخيال العلمى، وحروب الفضاء . ويبقى الوجود الإنسانى أكثر جاذبية بما يحمل من معانى التردد بين الخوف والشجاعة ، وصور التآخى بين التلاميذ الثلاثة وإصرارهم على مواجهه قوى الشر .

وقراءة الكتاب يمكن أن تكون أعمق أثرا فى نفس الطفل من مشاهدة الفيلم . فقارئ الكتاب صبى بين التاسعة والثانية عشرة، ويمكن أن يصبح عند القراءة شريكا للمؤلف فى صنع الأحداث وتصوير الشخصيات ويضع نفسه موضعها . وهذا هو مكمن الخطر الذى يخشاه من يعارضون تقديم أمثال هذه الكتب للصغار ، على حين يرى آخرون أن الأطفال فى مثل هذا العمر يستطيعون أن يفرقوا بين الخيال والواقع وان ينتزعوا أنفسهم بعد الفراغ من القراءة من ذلك العالم الخيالى ليعودوا مرة أخرى إلى حقائق الواقع . ويضربون لذلك مثلا فيقولون إننا بمنطق المعارضين يمكن أن نقول إن فيلم «ذهب مع الريح» يعلم الصغار ملكية العبيد . و«جزيرة الكنز» يغريهم باحتراف القرصنة ! .

على أن السحر ليس ببعيد عن عالم الأطفال كما يظن الكبار ، وليس أول عهدهم به حكاية خيالية تحكيها الجدة أو الأم ، ولا قصة فى كتاب من كتب الأطفال . فالطفلة حين تلاعب عروستها تعرف أنها مصنوعة من القماش أو البلاستيك وأنها لا تأكل ولا تشرب أو تسمع أو تتكلم . وكذلك يدرك الولد الصغير أن حصانه ـ حين كان الحصان اللعبة المفضلة عند الصغار ـ لا يسمع ولا يجرى ولا يصهل .

ومع ذلك تتحدث الطفلة إلى عروستها، وتقدم إليها الطعام والشراب، وتصدر إليها من الأوامر والنواهى أمثال ما تسمع من الكبار .. وتستمع خلال ذلك إلى ما تجيب به عروستها فى حوار طويل . إنها تمارس نوعا خاصا من السحر ينفث الحياة فى الجماد .. وحين تنقضى لحظه اللعب تعود الطفلة إلى منطق الواقع وتعود العروسة دمية من القماش أو البلاستيك فى انتظار لحظة لعب جديدة .

ومثل هذه اللحظات السحرية لا خوف منها على الطفل بل هى شىء لابد منه فى السنوات الأولى من العمر؛ إذ يجرب الطفل فيها بعض معارفه التى تلقاها من الكبار، ويضيف إليها شيئا من خياله يزيده دون أن يدرك ثقة فى نفسه .

وقد ظلت قصص الأطفال عندنا زمنا طويلا لا تتجاوز بعض الحواديت الموروثة ثم بدا بعض الرواد بعد ازدهار الطباعة المصورة يدركون شأن هذه القصص فى وجدان الطفل وعقله وشخصيته؛ فاتجهوا إلى ملء هذا الفراغ بما كانوا يترجمون أو يقتبسون أول الأمر من بعض كتاب الغرب كالأخوين جريم من ألمانيا ، وكريستيان هانز أندرسون من الدنمارك، إلى جانب قصص معروفه مثل : سندريللا ، والجمال النائم ، والصغيرة الجميلة ، والأقزام السبعة ، وأليس فى أرض العجائب ، ورحلات جوليفر فى أرض الأقزام والعمالقة . ثم أحذوا بعد ذلك يؤلفون قصصا يرون أنها أقرب إلى طبيعة أطفالنا وميولهم وخيالهم .

والناظر فى هذه القصص يرى أن كثيرا منها يقصد إلى تعليم الطفل بعض الفضائل؛ فالشجاعة والصداقة والاتحاد وسعة الحيلة وحب الوطن . وأن قليلا منها يقوم على الخيال المحض الذى يبث فى نفس

الطفل حب المغامرة والجرأة على تغيير الواقع حين يكبر ، وينتزعه للحظات من سيطرة الكبار . وقد التفتت الإذاعة عندنا منذ وقت مبكر إلى قصص الأطفال وكان لها رواد معروفون فى هذا المجال ما زال الناس يذكرونهم بالخير والثناء .. لكن هؤلاء الإذاعيين الرواد كانوا مثل الرواد من الكتاب حريصين فى أغلب الأحوال على النزعة التعليمية وعلى توضيح مغزى القصة فى النهاية حتى لا يفوت إدراكها بعض الأطفال .

وما زال أغلب من يقدمون هذه البرامج الإذاعية يلقونها بأسلوب طفولى مبالغ يحاولون أن يقلدوا الصغار بأصواتهم وطريقة كلامهم ، ناسين أن طفل اليوم غير طفل الأمس البعيد، وأن ما كان يصلح من أسلوب حكاية القصة لم يعد يلقى القبول ، بل لعله يلقى شيئا من الاستهجان عند طفل يلعب اليوم بأدوات آلية معقدة ويشاهد أفلاما يستمتع بها الصغار والكبار على السواء .

وحين التفتت الإذاعة، ومن بعدها التليفزيون إلى أدب الأطفال كان اعتمادهما الأكبر على قصص مأخوذه من التراث الشعبى خاصة ألف ليلة وليلة التى كانت أول الأمر على قدر كبير من الطرافة والقدرة على إثارة الخيال . لكنها بعد أن كثر الإلحاح على تقديمها وربطها بأنماط من الإخراج فى أسلوب الحكاية وفى الملابس والحركة والديكور فقدت طلاوتها عند الصغار والكبار على السواء ، خاصة أنها اتسمت بإيقاع شديد البطء يخالف ميل الصغار إلى سرعة الحركة والوصول إلى ما يمكن أن تنتهى إليه الأحداث .

ولو أدرك كتابنا أن طفل هذا العصر سريع النمو فى خياله وقدرته العقلية، وأن البيئة من حوله تمده فى وقت مبكر بذخيرة كبيرة من المعارف والتجارب ؛ لتلمسوا فى تراثنا ما يمكن أن يرضى نزعة الطفولة إلى الخيال المركب البعيد . وكان الغربيون قد سبقونا من زمن طويل إلى مثل هذه القصص الخيالية فى الكتب والأفلام حتى استهلكوها بعد أن ظنت متعة فنية كبيرة للكبار والصغار على السواء فاتجهوا إلى ما جابته روح العصر من قصص الخيال العلمى .

ولو تجاوزنا حكايات ألف ليلة وليلة إلى بعض السير الشعبية لاستطعنا أن ننتفع بكثير مما تتضمن من قصص العجائب والمغامرات .

## صلاح منتصر :

«عندما يصدر كتاب مثل هارى بوتر والعنقاء، ويباع منه فى أول يوم طرحه فى السوق ١٫٨ مليون نسخه فى بريطانيا وحدها ، وهو ما لم يحدث فى تاريخ الكتب فإن هذه ظاهرة لا يمكن تجاهلها دون التأمل فيما تثيره من ملاحظات من بينها :

**الملاحظة الأولى** : أن هذه الحمى الجنونية فى الإقبال على الكتاب تحدث فى زمن بدأ الحديث فيه عن غروب شمس الكتاب أمام جبروت التليفزيون والإنترنت وثقافة السندوتشات السريعة التى تسود فى دول

كثيرة .. ولكن هاهو كتاب ليس فيه جنس ولا صور ولا فضائح يحطم الرقم القياسى ويجعل المكتبات فى سابقة غير معهودة تستمر فى فتح أبوابها إلى منتصف الليل لتلاحق طوابير المشترين !!

**الملاحظة الثانية** : هى الاحتفاء الذى استقبلت به الصحف فى الغرب الكتاب والترويج له فى أبوابها المخصصة للكتب، وهى ليست أبوابا إعلانية ولا تقوم على المجاملات والرؤى الشخصية ، وإنما هى تعرف أن لها دورا فى الحركة الثقافية يهمها أن تزدهر ، وأن تنميها وأن توجه القارئ إلى معرفة الجديد فى حركة النشر بما يشجعه على اقتناء الكتب .

**الملاحظة الثالثة** : عن السعر الذى يباع به الكتاب .. فسعر الغلاف المطبوع هو ١٦ جنيها استرلينيا و٩٩ بنسا ..وتعالوا نتصور كتابا طرح فى أسواقنا، وأقبل عليه القراء بنصف أو ربع الدرجة المحمومة التى حدثت فى إنجلترا ، فما الذى كان يتوقع غير إخفاء عدد من الباعة الكتاب، ورفع سعر بيعه استغلالا للطلب ... فى انجلترا حدث العكس ... ففى وسط هذه الحمى البالغة دخل باعة الكتاب من مكتبات ومحلات وسوبر ماركت فى التنافس على تخفيض سعره من نحو ١٧ جنيها إلى ١٢ جنيها فى مكتبة و١١ فى مكتبة أخرى وعشرة جنيهات فى «متجر سيف» وأى، و٩ جنيهات فى محل آخر ... أما متجر «وول ورث» فإنه يبيعه بثمانية جنيهات لمن يشترى من المحل بضاعة قيمتها ١٥ جنيها فأكثر.

## حازم الببلاوى

«ذهبت منذ أيام لرؤية فيلم هارى بوتر بعد أن أصدرت مؤلفته أربعة أجزاء من مغامرات هذا الغلام استحوذت على قلوب مئات الملايين من الأطفال والصغار وكذا الكبار فى معظم بقاع العالم . ويقال إن الفيلم قد حقق فى الأسابيع الأولى لعرضه أرقاما قياسية من الحضور .

ومؤلفه القصص بريطانية وهى تتناول فى قصتها مغامرات خيالية لطفل يتمتع بقدرات خاصة فى السحر مما يدخله عالما من الخيال والأحلام، بل والخرافات مع زملاء له من السحرة . والفيلم يدور حول الكتاب الأول فى هذه المجموعة وقد صدر منها أربعة أجزاء حتى الآن وهو يتعرض لحياة هذا الطفل هارى عندما يدخل مدرسة السحرة مع زملاء له من النوع نفسه. ويواجه هارى فى حياته المدرسية الجديدة مختلف المغامرات فى حياة من الخرافات أشبه بالأحلام . وليس فى نيتى أو حتى فى مقدورى أن أنقد الفيلم أو القصة ، فهذا ليس ميدانى وليس لى به أية معرفة خاصة . ولكنى أود أن أطرح بعض الملاحظات حول نجاح هذا الفيلم فضلا عن النجاح الساحق للقصة . ولعل الملاحظة الأولى هى أن مؤلفة الفيلم إنجليزية لا تأتى فقط من موطن الثورة الصناعية الأولى وثورة العقل والتنوير ، بل هى فيما يبدو أيضا من وسط ثقافى متميز ، فالقصة لم تصدر عن أم جاهلة من وسط أدغال أفريقيا ، أو فى احدى قبائل الأمازون لتقص على أبنائها وأحفادها معجزات السحر والسحرة والأرواح ، وإنما تصدر من سيدة إنجليزية مثقفة فى طباعة أنيقة فى مهد

الثورة الصناعية ومعقل العقلانية . وأما الملاحظة الثانية فهى النجاح الساحق للقصة والفيلم فى أكثر الدول تقدما فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى كندا ، وفى أوروبا واليابان . هذه الدول هى التى تقود الثورة العلمية وأدق التطورات التكنولوجية ، وهى الدول التى لا تكاد تؤمن بغير العقل والتجربة وتنبذ الخرافات والخزعبلات . ومع ذلك فإن هذه الدول نفسها ، وأبناءها صغارا وكبارا يقبلون على قراءه مثل هذه القصص. وهو أمر ليس بجديد فقد سبقه منذ سنوات فيلم حدائق جوراسك ، وقبلها أفلام فرانكشتين وأمثاله . ويبدو أن أكثر الأفلام استقبالاً أو أكثر الكتب رواجا الآن ، هى تلك الكتب التى تبتعد عن الواقع وتتوغل فى الخيال . بل لعلنا نتذكر قصص لويس كارول عن مغامرات أليس فى بلاد العجائب تأليف لودفج دودجسن.

إن نجاح مثل هذه القصص والأفلام إنما يعنى شيئا واحدا ، هو أن الأفراد فى الحياة الحديثة القائمة على العلم والعقل والحساب إنما هى حياة مملة وثقيلة . وان الفرد يحتاج إلى الهروب منها إلى عالم الخيال والأحلام - بل ولم لا ؟ !- إلى عالم الخرافات والخزعبلات . إن العقل وحساباته يفرض منطقا صارما لا مفاجأة فيه ولا دهشة ، كل شيء معروف أو قابل للتنبؤ ، وبالتالى قليل الإثارة إن لم يكن مبعثا لملل ، فكما أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش مع المجهول والمفاجآت المستمرة ، فإنه أيضا يمل الرتابة ويحتاج من آن لآخر لقدر من الإثارة والمفاجأة المستمرة ، حاجته إلى أحلام اليقظة .

إننا نفهم لماذا يقبل العالم المتقدم على قراءة قصص هارى بوتر ومشاهده فيلمه ، كما نفهم الاقبال على هذا النوع من الكتب والأفلام . فالحياة الحديثة وما تفرضه من قيود صارمة تتطلب التخفيف منها بالهروب من قيودها وأحكامها ، وهذا هو المقصود بالتسلية . هناك حاجه للخروج على قواعد اللعبة والاستراحة . إن فيلم هارى بوتر إنما هروب إلى جموح الخيال وأحلام اليقظة وذكريات الماضى والحنين له، وإلى الرغبة المكبوتة فى تحقيق ما لا يمكن إنجازه فى هذه الحياة القياسية التى يحكمها سلطان العقل وقيوده الشديدة . فلا بأس من الراحة والخروج على النظام والاسترخاء ، ولكن الأمر ليس مجرد راحه، للعقل ؛ وإنما هو أيضا تدعيم للخيال والإبداع ، وهو نقطه انطلاق لأى تقدم علمى . فالعلم أيضا يتطلب الخيال والثورة على الأفكار المستقرة .

## د. يحيى الرخاوى :

هاتفتنى ابنتى من استراحة منتصف طريق الإسكندرية الصحراوى ، وابنها ( على : ٩ سنوات ) بجوارها ، هاتفتنى تستنجد بى ، أو تحتكم إلى ، على مسمع منه ، شكت لى أن ابنها رأى كتابا بالانجليزية ، ويريد شراءه ، مع أنه توجد كتب بالعربية ، شيقة وجذابة ، وهى تصر على أن يشترى كتابا بالعربية ليقرأه فى الإجازة جنبا إلى جنب مع كتبه الإنجليزية العديدة ، قلت لها رأيى ، فناولته السماعة ، رحت أشرح له كيف

أنى فرح بكونه قارئا نهما فى هذه السن ، وأننى أرى ضرورة التوازن بين لغة الدراسة ولغتنا الجميلة ، وانه بالتدريج سوف يتعرف على جمالها مثلى وربما مثل أمه ، وكذا وكيت ، فبدا لى انه اقتنع على مضض ، بعد وصولهم للشاطئ ، كلمنى على شخصيا سائلا : هل أعده لو انه انهى قراءه الكتاب العربى الذى اشتراه (أو اشترى له ) ، أن اقنع أمه لتوافق على شراء الكتاب الإنجليزى اثناء العودة ؟ فوعدته بذلك وأنا حزين .

المسألة إذن لم تعد تتعلق بأولوية الدراسة بهذه اللغة أو تلك لهذا العلم أو فى تلك الكلية ، المسالة أصبحت تتعلق بماذا نكتب لأطفالنا بلغتنا الجميلة حتى يتعرفوا عليها وعلى أنفسهم .

ضبطنى حفيدى الأكبر – عمر، ١٥ سنه – ابن خال الأول ، وأنا أقرأ الجزء الأول من هارى بوتر مترجما فنصحنى ، بأبوة حانية ، أن أقرأها بلغتها الأصلية ، ووعدته أن أفعل .

إن انتشار هذا العمل – هارى بوتر – بهذه السرعة إنما ينبههم – قبلنا – كيف أن الإنسان المعاصر لا ينبغى أن ينسى أو يتناسى تاريخه الحيوى والأسطورى الرائع . هذا التاريخ ليس ماضيا ، بل هو حاضر لا نكون بشرا إلا به .

إذا كان الغرب قد رحب بألف ليلة وليلة كل ذلك الترحيب ؛ فلأنها تكمل ما تورط فيه ، وإذا كان قد عاد فرحب بهارى بوتر هكذا فلأنه يسترجع ما كاد يفوته . لعلها محاولة لتحديث الخيال البشرى بتلقائيته الحرة بعد أن كاد الكمبيوتر يختزل الإنسان إلى ما تسمح به برامجه ، وملايين معلوماته .

لقد سجنا أنفسنا فيما نتصور أنه العقل ، وسجنا أخلاقنا فيما نتصور أنه الفضيلة ، وسجنا خيالنا فيما نتصور أنه الطفل ، فلم يبق منا إلا ما لم نعد نصلح بشرا نابضا مبدعا لو اقتصرنا عليه .

حاول نجيب محفوظ فى لياليه الجديدة ( ليالى ألف ليلة ) أن يحدث القديمة ، ثم هاهو يحدث خيالنا الطليق من جديد بأحلام فتره النقاهة ، قبل ذلك ، إلى درجه أقل كانت «رحله ابن فطومة» . كذلك حاول المخزنجى فى «رنين أوتار الماء» كما حاول بأولو كويلهو فى «ساحر الصحراء»، وباتريك سوزكند فى العطر ، ومع ذلك ، فأغلب الأغلب هو أن أكثر ما يكتب عندنا ، خاصة للأطفال ، هو عكس ذلك .

حين تنكرنا للخيال ، تنكرنا للطفل فينا وحولنا ، رحنا نتوهم كل ما هو ليس بطفلى ونطلق عليه لفظ طفل ونحن نصيغه كما نتصور لابسين ثوب الفضيلة المسطحة والنصح الأجوف ، فنبتعد بذلك عن خيالنا الأوقع من الواقع ، وحلمنا الأقرب إلى التاريخ أحاط بى يوسف وحسن ، حفيدى الصغيران ، ليسألنى حسن ( ثلاث سنوات وبضعه اشهر ) ان احكى لهما حدوتة ، فتلكأت ، كنت أود أن أحكى لهما حدوتة أبو رجل مسلوخة ، وحواديت النداهة ، وعلى الزيبق المصرى ، والشاطر حسن تلك الحواديت الأقرب إلى داخلنا ، ربما هى التى حافظت على خيالى نشيطا حتى الآن ، وهى هى التى أصبحت محظورة حين تنكرنا لخيالنا

وتاريخنا . قلت لهما صل على النبى . قال حسن : اللهم صل عليك يا نبى . وتوقفت . قال لى أحكى لك انا ، وافقت . قال : صل على النبى قلت : عليه الصلاة والسلام ، وراح يحكى ، ويؤلف ويستعيد ويضيف وأنا أنصت وأتعلم .

إذا أردنا أن نعرفهم لنحكى لهم ، فلننصت لهم ولتاريخنا ، ثم نحكى فيسمعون .

هذا ما فعلته رولينج وهى تحمل لتضع لنا هارى بوتر ، فكان ما كان .

## يوسف الشارونى :

لقد رأيت كيف تنمى الأم فى الغرب عادة القراءة فى صغارها ، وكيف تنمى المدرسة حي الجمال فى أطفالها ، فالأم والمدرسة كلاهما قارئة ومحبة للجمال ، الأم تشترك مع أطفالها فى مكتبة البلدية القريبة، وتتردد معهم عليها من حين لآخر ليردوا ما استعاروه ويستعيروا ما يناسب أعمارهم وهواياتهم ، ولقد رأيت الطفلة التى تقبل على قراءة هارى بوتر وشاشة التليفزيون أمامها لا تعيرها اهتماما ، والمدرسة تعهد إلى كل طفل من أطفالها فى مرحله عمرية معينة بقصرية زرع وقد غرس فيها بذرة ليصحبها إلى بيته أثناء العطلة الصيفية يرعاها طبقا لتعليمات تلقاها ليتابع نموها برعما حتى تتفتح زهرة فى نهاية العطلة ، فيعود بها فرحا سعيدا بأنه تحمل مسئولية مهمة جنى ثمارها؛ مما ينمى شخصيته أسوة بنمو نبتته ، وفى الوقت نفسه تغرس هذه المهمة فى نفسه حب الطبيعة وتقدير جمالها واحترامها .

## منى رجب :

من هو هارى بوتر ذلك الطفل ذو العشر السنوات الذى أصبح فجاة ظاهرة فى تاريخ السينما العالمية؛ ففى خلال يومين فقط من عرض فيلم « هارى بوتر» فى دور السينما الأمريكية خلال الأسبوع الماضى حقق ٩٣ مليونا ونصف المليون دولار، وتحول هارى بوتر إلى بطل جديد تتسابق الملايين لرؤيته .

إن هارى بوتر هو شخصية من وحى خيال مؤلفة بريطانية شابة غير متزوجة اسمها جى كى رولينج ابتكرتها حينما كانت تعانى من حالة اكتئاب نفسى لم تجد علاجا لها سوى الكتابة عن عالم خيالى بطله هارى بوتر الذى ورث عن والديه السحر، وحين يكتشف عمه قدراته فى السحر يلحقه بإحدى مدارس تعليم السحر وهناك يقرر هارى استغلالها من أجل الوصول إلى سر اختفاء حجر الفيلسوف . لقد أصبح الطفل دانييل ردكليف الذى تم اختياره من بين ٧٠ ألف طفل ليلعب دور هارى بوتر أشهر نجوم هوليود الآن، بينما أصبحت المؤلفة فجأة ثالث أغنى سيدة فى إنجلترا بعد بيع ١٢٥ مليون نسخة من سلسله مغامرات هارى بوتر

أما هذا الفيلم الذى يتسابق الملايين من الصغار والكبار، والذى أنفقت عليه هوليود ١٥٠ مليون دولار فلا شك أنه يعد مؤشرا واضحا لحالة من الهروب الجماعى من الواقع الراهن الملىء بالعنف وبالضغوط اليومية إلى عالم خيالى ملىء بالسحر والمغامرات غير المألوفة والضحك».

## عزت السعدنى :

لقد وضعت صحيفة نيويورك تايز «بول رفيو» سلسلة الكاتبة البريطانية «چى كى رولينج» «هارى بوتر» للأطفال، على قمة قائمة أعلى مبيعات الكتب فى شهر يوليو الماضى.

وقد استطاعت هذه الكاتبة فى سلسلة تتضمن أربعة كتب أن تحول جيلا كاملا من التكنولوجيا الحديثة إلى العصور القديمة وعالم السحر .. من خلال طفل وصديقيه يمارسون السحر فى إحدى المدارس.

وقد ترجمت السلسله الى ٤٢ لغة وتم طبع ٧٦ مليون نسخه وزعت فى جميع أنحاء العالم من هارى بوتر .

## أقوال مأثورة فى السياق :

* « لم يعد يثير اهتمام الأطفال تلك الحواديت البسيطة التى كانت تتحدث عن الجميلة النائمة فى الغابة بعد أن سحرتها الساحرة الشريرة التى يأتى الأمير الجميل لإنقاذها . إن ما يثيرهم اليوم هو كيف يتحكم طفل صغير فى الكمبيوتر ، وكيف يستطيع أن يسيطر على المجتمع المحيط به مستخدماً ذكاءه وقدراته الفذة» : نجيب محفوظ .

* « إن الأعمال الفنية الواسعة الانتشار لها تأثير على الجماهير يفوق ما يكتب للصفوة ، وبالتالى فإن إعراض النقاد عنها يعنى أن هناك أعمالاً شديدة التأثير فى الناس، لكن النقد بعيد تماماً وهذا لا ينبغى أن يكون . » : نجيب محفوظ .

* « عندنا مجموعة من المفهومات الغلط ، وهى أننا نخاف على عقل الطفل من كثرة المعلومات ، نحن فقط فى هذه الدنيا الذين نتوهم ذلك ، ونحن وحدنا الذين نعتقد أن عقل الطفل ضيق وقابل للكسر ، ولذلك يجب أن نحجب عنه المعلومات ، ونختصر له الكتب ، ونجعل له الامتحانات سهلة ، وإذا جاءت صعبة اعتذرنا له عن هذه الغلطة الفظيعة ؛ لأن المفروض عندنا فى مصر أن ينجح الطفل ويحصل على مائة فى المائة على الأقل .» : أنيس منصور

* « مع أن الأطفال الصغار يقضون الساعات على الكمبيوتر يقرءون ويراسلون ، ومع ذلك فعندنا يقين ( رسمى ) بضرورة أن نعطيهم القليل من كل شىء حتى لا يتفرقوا فى أى شىء ... ثم نشكو من التخلف العقلى عندهم والعلمى عندنا» : أنيس منصور .

* « لو أدرك كتابنا أن طفل هذا العصر سريع النمو فى خياله وقدرته العقلية، وأن البيئة من حوله تمده فى وقت مبكر بذخيرة كبيرة من المعارف والتجارب؛ لتلمسوا فى تراثنا ما يمكن أن يرضى نزعة الطفولة إلى الخيال المركب البعيد»: عبد القادر القط .

*« تأتى هذه الحمى الجنونية فى الإقبال على كتب هارى بوتر ، على الرغم من خلوه من الجنس والصور والفضائح ، وفى زمن بدأ الحديث فيه عن غروب شمس الكتاب أمام جبروت التيفزيون والإنترنت»: صلاح منتصر .

*« يبدو أن أكثر الأفلام استقبالا ، أو أكثر الكتب رواجًا الآن ، هى تلك الكتب التى تبتعد عن الواقع وتتوغل فى الخيال ، بل لعلنا نتذكر قصص لويس كارول عن مغامرات أليس فى بلاد العجائب ، إن نجاح مثل هذه القصص والأفلام إنما يعنى شيئا واحداً ، هو أن الأفراد فى الحياة الحديثة القائمة على العلم والعقل والحساب إنما هى حياة مملة وثقيلة ، وأن الفرد يحتاج إلى الهروب منها إلى عالم الخيال والأحلام بل . ولما لا ؟! إلى عالم الخرافات والخزعبلات. إن العقل وحساباته يفرض منطقًا صارماً لا مفاجأة فيه ولا دهشة ، كل شىء معروف أو قابل للتنبؤ ، وبالتالى قليل الإثارة أن لم يكن مبعثاً للملل . الأمر ليس مجرد راحة للعقل وإنما هو نقطة انطلاق لأى تقدم علمى ، فالعلم أيضًا يتطلب الخيال والثورة على الأفكار المستقرة » : حازم الببلاوى .

* «المسألة إذن لا تتعلق بأولوية الدراسة بهذه اللغة أو تلك لهذا العلم أو تلك الكلية ، المسألة أصبحت تتعلق بماذا لا نكتب لأطفالنا بلغتنا الجميلة حتى يتعرفوا عليها وعلى أنفسهم ، وإذا أردنا أن نعرفهم لنحكى لهم ، فلننصت لهم ولتاريخنا ، ثم نحكى لهم فيسمعون » : يحيى الرخاوى .

* «لقد رأيت كيف تنمى الأم فى الغرب عادة القراءة فى صغارها ، وكيف تنمى المدرسة حب الجمال فى أطفالها » : يوسف الشارونى .

* «لا شك أن فيلم هارى بوتر الذى انفقت عليه هوليود ١٥٠ مليون دولار ، يعد مؤشراً واضحاً لحالة الهروب الجماعى من الواقع الرهن الملىء بالعنف وبالضغوط اليومية إلى عالم خيالى ملىء بالسحر والمغامرات غير المألوفة والضحك » . منى رجب .

* «لقد استطاعت رولنج أن تحول جيلاً كاملاً من التكنولوجيا الحديثة إلى العصور القديمة وعالم السحر» . : عزت السعدنى

مشاركات أخرى بصحيفة الأهرام :

* حكاية سياسية بقلم عبير الشرقاوى ٢٩٠ يوليو ٢٠٠٠

* أطفال الكمبيوتر يهربون لعالم السحر والخيال .. باحثة كندية تؤكد أن كل طفل ديكارت صغير ١٠ أكتوبر ٢٠٠٠

* إيرادات ضخمة يحققها فيلم هارى بوتر . ٢١ نوفمبر ٢٠٠١

* أسرار عالم هارى بوتر السحرى . ١٦ يناير ٢٠٠٢

* كريستوفر لى ينضم لأسرة فيلم هارى بوتر. ٤ نوفمبر ٢٠٠٢

* هارى بوتر وظاهرة نجاح دراما السحر . ٢٩ يناير ٢٠٠٣

* روسى يأمل فى الفوز فى الانتخابات بعد أن غير اسمه إلى هارى ايفانوفيتش بوتر ٤٠ مارس ٢٠٠٣

* هارى بوتر يحطم كل الأرقام القياسية . ٢٣ يونيو ٢٠٠٣

* هارى بوتر تخطى المليون.٢٤ يونيو ٢٠٠٣

* الشىء بالشىء يذكر. ٢٩ يونيو ٢٠٠٣

* أطفال الكتب وأطفال القيود. ١ يوليو ٢٠٠٣

* هارى بوتر يغزو فرنسا. ٢٩ يونيو ٢٠٠٣

* روعة هذا الطفل الجميل بقلم فؤاد قنديل ٢٧ يوليو ٢٠٠٣

## المصادر


١- صلاح منتصر . عمود مجرد رأى ، الأهرام العدد ٤٢٥٦٩ بتاريخ ٢٥ يونيو ٢٠٠٣ .

٢ - هارى بوتر وظاهرة نجاح دراما السحر ، باب ثقافة وفنون ، الأهرام ، العدد ٤٢٤٢٢ بتاريخ ٢٩ يناير٢٠٠٣

٣ - منى رجب . حديث الصباح ، الأهرام العدد ٤٢٥٢٠ بتاريخ ٧ مايو ٢٠٠٣

٤ - نجيب محفوظ . وجهة نظر ، حوارات نجيب محفوظ ، بقلم محمد سلماوى ، الأهرام العدد ٤٢٥٨٤ بتاريخ ١٠ يوليو ٢٠٠٣ .

٥ -.نجيب محفوظ . وجهة نظر ، حوارات نجيب محفوظ ، بقلم محمد سلماوى ، الأهرام العدد ٤٢٥٩١ بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠٠٣ .

٦ - أنيس منصور . مواقف ! الأهرام ، ٣ مارس ٢٠٠٢

٧ - عبد القادر القط . الأطفال والسحر ، الأهرام ، ٢٥ فبراير ٢٠٠٢

٨ - صلاح منتصر . مجرد رأى ، الأهرام ، ٢٦ يونيو ٢٠٠٣

٩ - حازم الببلاوى . ليس بالعقل وحده يعيش الإنسان ، الأهرام ، ٢٤ فبراير ٢٠٠٢

١٠- يحيى الرخاوى . نحن لا نعرف من هو طفل فينا ! ، الأهرام ، ١١ أغسطس ٢٠٠٣

١١ - يوسف الشارونى . تهميش الثقافة .. لماذا ؟ ، الأهرام ، ٢٥ مايو ٢٠٠٣

١٢ - منى رجب . حديث الصباح ، الأهرام فى ٢٨ نوفمبر ٢٠٠١

١٣ - عزت السعدنى . تحقيق السبت .. ماذا نريد من القرن الجديد ؟ ، الأهرام ، ١٣ يناير ٢٠٠١